النسب والتنشئة وتأثيرهما على إنسانية الأمير عبد القادر الجزائري

أة.حرشوش كريمة*

د.حمدادو بن عمر*

الملخص:

تقتصر هذه الدراسة على إبراز مدى تأثير التنشئة والنسب في تعزيز إنسانية الأمير عبد القادر الجزائري، الذي سار على دعائم مشبعة بالقيم الأخلاقية والإنسانية التي ورثها عن أجداده وأسلافه، فيما يتصل بمعاملة الأسرى وحماية فئة النساء والأطفال المسنين والمرضى في الحرب، هذا ما وقفنا عليه خلال هذه الدراسة، كما تحدثنا أيضا عن معاملاته السمحاء لجنوده، وكان هدفه من وراء هذه الطيبة وحسن المعاملة لهم،هو ترسيخ القيم الإنسانية والمعاملة الجيدة للعدو في أذهانهم، كما تجلت سيرته الإنسانية أيضا في موقفه من الفتنة التي كادت تعصف ببلاد الشام عام 1860م، حيث دافع عن المسيحيين وحماهم، وبالتالي أظهر للعالم تسامحه الديني والأخلاقي والإنساني في كل علاقاته مع رفقائه أو خصومه (العدو)، هذا إن دل على شيء فإنه يدل على تمسكه بمبادئ الإسلام التي تأمر باحترام الإنسان كإنسان، إقتداء برسول الله عليه السلام ،والعمل بمبادئ الشريعة الإسلامية.هكذا كان الأمير عبد القادر خير خلف لخير سلف.

* - طالبة دكتوراه، بقسم التاريخ وعلم الآثار جامعة وهران 1، وعضو في مخبر البحث التاريخي- مصادر وتراجم- جامعة وهران1.

* - أستاذ باحث في التاريخ الحديث والمعاصر، وعضو بمخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران1.

Abstract:

The present study is about how important is the impact of affiliation to reinforce the humanity of l'emir Abd-el-Kader the Algerian, that has followed values full of ethics and humanism, that he acquired as a legacy from his grand-fathers and ancestors in what is related to treating the prisoners and the protection of women and children and the sick persons in time of war.

This is what we have treated in our study, and we also talked about his tolerant behavior towards his soldiers, and his objective from that kindness and well-treatment was to implant the human values and good attitude to the enemy in their minds, also his humanisms was reflected in his position on the almost finished the countries of Sham in 1860, as he defended the Christians and protected him, and that's why he showed to the world his religious and ethical and human forgiveness on all his relationships with his companions and especially (the enemy), and that means that he was very attached to the principles of Islam that are respect the human being, following the Prophet, peace be upon him, that is howl'emir Abd-el-Kader was, a good man as good ancestors.

مقدمة:

إن ظهور الأمير عبد القادر على مسرح الأحداث وتوليه مقاليد الأمور في ظروف صعبة، نقلة نوعية في ممارسة السلطة في تاريخ الجزائر، أساسها رغبة

السكان وقوامها اعتماد الأمير على تأييدهم والتفافهم حوله، وهذا ما يؤسس لقيام نظام حكم شرعي، ويكون قاعدة لبناء دولة وطنية لا تقوم على الإكراه ولكن تستند على مبدأ العدل والمساواة، والتعاون بين الجميع، وقد تم ذلك فعلا عندما نصب أميرا وأعترف له بزعامة الجهاد في بيعتين متتاليتين، الأولى خاصة في 3رجب 1248هـ/26نوفمبر 1832م عند شجرة الدردارة، والثانية عامة تمت بالمسجد الجامع بمعسكرفي13رمضان1248هـ/4فبراير1833م. هو قرار نابع من إرادة السكان، ذو طابع وطني وصبغة شرعية –الشورى- وقد ترتب على هذه المبايعة إرساء قواعد أمة عازمة على استرجاع كرامتها وفرض سيادتها على ترابها.

لقد شملت العناية فارس الإيمان بالعديد من الحوافز الحسية والمعنوية، حتى من قبل ولادته، تأهيلا له لخدمة شعبه ووطنه، فهو جندي السلام الذي كتب له القدر شرف المقاومة لأجل خصومه، إلى مقام الإنسانية التي ورثها عن أجداده الشرفاء من أهل البيت، ورسوخ قدمه في مقام التصوف جعله مرجعا دينيا ودنيويا. إن مثل هذه الشخصية تمثل المعنى النضالي السامي الذي يرسخ في الذهن البشري، لما له من ارتباط وثيق في تحرير الوطن، وتبقى خالدة فيها فكرا وممارسة، فهي روح البعد الحضاري ومرآته، كونه برز في ساحات المعارك بطلا، ومدركا لماهيات الأمور، وحقيقة الاستعمار وطبيعة موازين القوى، بفكره العميق. وبفضل إيمانه الكبير انضم إلى مصاف القادة القلائل في العالم الذين جمعوا بين قوة السيف وقوة القلم والحكمة، ولعل هذه المعاني مجتمعة ترتبط بشخص الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الجزائري الحسني.

1- منطلقات السماحة عند الأمير عبد القادر:

أ- النسب:

في بيان النسب،نقول عنه أنه السيد الجليل،العارف النبيل، الناسك العالم، العامل، الزاهد المتورع،السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين. بن مصطفى. بن محمد. بن المختار. بن عبد القادر. بن أحمد المختار. بن عبد القادر. بن أحمد المشهور بابن خدة [وهي مرضعته].[1]بن محمد. بن عبد القوي. بن علي. بن أحمد. بن عبد القوي. بن خالد. بن يوسف. بن أحمد. بن بشار. بن محمد. بن مسعود. بن طاووس. بن يعقوب. بن عبد القوي. بن أحمد. بن محمد. بن ادريس الأصغر. بن ادريس الأكبر. بن عبد الله المحض. بن الحسن المثنى. بن الحسن السبط. بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشُرّف وكُرّم وعُظّم[2]،وقد ذكر نسب الأمير عبد القادر الشريف في العديد من المؤلفات بدءا بمذكراته.[3]

أما عن والد الأمير عبد القادر الشيخ محي الدين، فهو محي الدين بن مصطفى بن المختار الحسين الراشدي الغريسي، ولد بوادي الحمام عام 1776م وتوفي سنة 1833م،درس على يد أبيه مصطفى، وورث عنه مشيخة الزاوية القادرية، واشتهر بسداد الرأي وغزارة العلم، وقاوم ظلم بايات الغرب الجزائري منذ عهد "علي قارة" الذي حكم من عام 1812م إلى 1817م، وحاول إيقاف الاضطرابات والفوضى الحاصلة في البلاد خاصة في تلمسان.

كان للشيخ مكانة هامة في وسط السكان فقد كانوا يكنّون له كل الاحترام، وهذا راجع إلى مكانته العلمية وعلاقات المودة التي كانت تجمعه بهم، هذا ما ورثه عنه ابنه عبد القادر، الذي راح يفتخر بنفسه بنسبه النبوي

الشريف، وظهر فخره هذا في العديد من القصائد الفخرية والحماسية التي نظمها في حياته ومطلعها:[4]

أبونا رسول الله، خير الورى طرا فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا

طالما أشاد الأمير بعلو هذا النسب، والذي ظل يستمد منه شرعية السلطان وعمق الانتماء الروحي له، لأداء واجب الجهاد والإصلاح على سنن من سبقوه، وهذا الشعور بالانتساب وطد من اعتزازه أمام المشككين، وصنع منه جهازا أخلاقيا حصنه من الوقوع في الجرائم وفتح له أبواب الرحمة والسماحة خلال مساره النضالي الطويل.

ب- التربية والتكوين الطبيعي والديني للأمير:

الأمير عبد القادر من أشد الناس تمسكا بالدين والعمل وفق مبادئه الحسنة،إلى جانب مجهوداته المتواصلة من أجل تركيز هذا الدين بين مختلف طبقات الشعب بشتى الوسائل والإمكانيات المادية والأدبية، والفضل في ذلك يعود

إلى نشأته في الوسط الديني ،بين أحضان عائلة متدينة، لها سطوتها الروحية على قبائل الجهة وعروشها، ولاشك أن شدة التأثر بمبادئ الدين والتكوين الأسري المحافظ هو الذي يكيف المرء تكييفا قوميا، فالأمير ممن أودع الله فيهم صفة الإنسانية والتي محضته لخدمة شعبه - هذا الأمير: هو "عبد القادر ناصر الدين"، الابن الرابع للشيخ محي الدين، بن مصطفى وابن السيدة الزهراء[5]ولد يوم الجمعة 23 رجب 1222هـ الموافق 26 سبتمبر 1807م[6]، أما في مذكراته الشخصية فيذكر مولده أنه كان في "أحد أو إثنين وعشرين ومائتين وألف من قرننا هذا"،[7]ولد بالقيطنة[8]على ضفة وادي الحمام[9] في منطقة أغريس[10]، التي تقع في إقليم وهران في الجزائر،[11] أو كما ذكرها في مذكراته أنها تقع في الجهة الغربية على مرحلة من أم

معسكر[معسكر]،نشأ في رعاية والده "محي الدين" الذي كان شيخا للطريقة القادرية.

يذكر تشرشل أن "عبد القادر" كان موضعا خاصا لحب والده، حتى عندما كان في الرضاع، كان يأخذه في حضنه، وكان الطفل يتطور بسرعة فائقة، فملكياته العقلية كانت تدل على نبوغه العقلي غير العادي، فكان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره،[12] وأصبح طالبا في سن الثانية عشر من عمره، تعلم الفقه، وتلقى تعليمه الأولي في كتاب زاوية أسلافه بالقيطنة،[13] عن أبيه وبعض شيوخ الزاوية في مدرسة جده الغريسي، فنشأ بذلك في بيت علم وتقوى وفي بيئة دينية متعلمة ومحافظة،[14] فأجاد حفظ القران جيدا وهو في سن الثانية عشر من عمره وفي فترة وجيزة[15]استوعب مبادئ العلوم الدينية واللغوية، فأخذ التفسير والحديث والفقه والنحو وأصول الدين عن والده،وهو أخذ عن والده أيضا، ووالده أخذ عن الشيخ العالم لمسائل الفقه المتقن لها ،التقي النقي السيد عبد القادر المشرفي، وأخذ أيضا النحو وجوهرة البيان عن بعض علماء وهران كالسيد "مصطفى بلهاشمي"، وأخذ جملة العلوم التي حصلها أو جلها عن جملة من الفاسيين كالعلامة "أبي حفص عمر الفاسي" و"المسناوي" و"أبي علي الحسن بن رحال"، أما العلوم النقلية والعقلية فأخذها عن فقهاء فاس وفضلائها، وهكذا نجد أنه قد أخذ العلم من أشياخ جمة وبهذا كان واسع الثقافة في مختلف العلوم، وفروع الأدب وعلوم القرآن والتفسير، وكان متمكنا من التراث العربي والحضارة الاسلامية[16].

لقد كان طموح "عبد القادر"أكبر في شبابه،أن يصبح مرابطا مثل والده الذي كان يحبه ويتحمس له تحمسا بلغ حد العبادة، فنلاحظ طابع النضج الفكري والشعري تتضحان عليه منذ نعومة أظافره، فقد كانت تظهر عليه

علامات خاصة ميزته عن جميع إخوته،مما جعل والده يوجه له عناية خاصة،فبرزت هذه العناية في الثقافة والتوجيه، إذ كان يراقبه عن كثب ويتوسم فيه علامات غامضة، ثم أن نبوغه العلمي دون إخوته واهتمامه بالفروسية والصيد وزواجه المبكر، وانتمائه إلى قبيلة بني هاشم العربية وإلى عائلة المرابطين[17] وغيرها من العناصر، هي التي ساهمت في تكوين شخصيته وتقويتها، كما ساعده نسبه الشريف والعريق وثقافة أسرته على الإبحار في العلوم العقلية والنقلية، مما ساهمت في تعزيز إنسانيته الخالدة.

2- التعامل الإنساني للأمير عبد القادر:

أ- معاملاته السمحاء مع جنده:

لقد كان "الأمير عبد القادر" يولي اهتماما كبيرا بجنوده، فقد اعتمد على سياسة مجاهدة النفس مع جنده،وعلى البساطة والتواضع، وكان يعتمد كثيرا من أجل ترويضهم على الشعارات الدينية المشجعة، ولعل الجدير بالذكر أنه كان حريصا على سلامة صحتهم لدرجة أنه كان في كثير من الأحيان يخاطر بحياته من أجل إنقاذ الجرحى في أرض المعركة [18] ،كما قام ببناء المستشفيات لمعالجة المرضى المدنيين والعسكريين على السواء،[19] إضافة إلى بنائه للمستوصفات في المقاطعات والمشافي، تنتقل مع الجنود في المعارك من أجل إسعافهم، وعين لكل مشفى أربعة أطباء ذوي خبرة وكفاءة يرأسهم طبيب متمرس في الميدان[20] ، وكان هؤلاء الأطباء يتقاضون راتبا ثابتا، يدفع لهم من بيت المال، وقد كانت مهمتهم تقتصر على تجبير العظام وتضميد الجروح، ولقد صمم الأمير على تأسيس مدرسة للطب، واعتمد في ذلك على مجموعة من الأطباء من خارج الوطن كالأطباء التونسيين، وقد أنفق أموالا كبيرة لشراء الكتب العلمية الطبية لنقل العلوم الطبية في المعاهد للطلبة المتفوقين

بالاعتماد على هؤلاء الأطباء ذوي الكفاءة العالية [21]، لكن عمر إمارته القصيرة وقلة الأموال حال دون تحقيق ذلك[22].

يذكر قدور بن رويلة في كتابه وشائح الكتائب، أن الأمير كان يرأف كثيرا بجنده لدرجة أنه وضع قانون واضحا خاصا بالجرحى والمرضى وعائلات الشهداء، إذ يذكر في أحد بنوده عن المعطوبين في الحرب :"....إن تعطل بالكلية فإنه يجري عليه راتبه حتى يموت..." [23]

ليس هذا فحسب حتى أنه كان يهتم بغذائهم وملبسهم، وها هي شهادة لهنري تشرشل في كتابه "حياة الأمير عبد القادر" ترجمة أبو القاسم سعد الله: يقول فيها:"...قدم على عبد القادر جنوده فرحين بإيجادهم لقطيع من الغنم، وألحوا عليه ليتناول وجبة طعام دسمة لكنه قال خذوها إلى جنودي الذين يكادون يموتون جوعا وعاد هو إلى ثمار البلوط..."[24]

أما عن الألبسة، فكان يصنعها لهم من الكتان هذا فيما يخص الجنود، أما الضباط فكانت من الجوخ، وفي حال تلفها كان يجددها لهم دون مقابل[25].

ما يجب التأكيد عليه في هذه المواقف الأميرية، هو أن إنسانيته جوهرها قائم بذاته، وليس عرضا من الأعراض الآنية، إنما شعور مستقل عن الذات، متعالٍ من روحه عن الأحوال والتقلبات، فهي لم تتأثر بالظروف الخارجية، بل بقيت كما هي بالرغم من الصدمات التي كان يصادفها.

فالجندي الأميري مثلا، كان في حروبه مطالبا باحترام خصومه في حالات ثلاث: إذا ألقى بسلاحه، أو استسلم للأمر، او اعترف بهزيمته.

فالقاعدة الأولى عند عبد القادر: هي أن العدو مهما كانت شدته، لما يجرد من السلاح يصير إنسانا يتوجب احترامه.

والقاعدة الثانية: هو أن الحياة أغلى ما يتملكه الإنسان في الوجود ولما يتاح للمرء أن يعفو فالعفو من الرحمة[26].تلك هي الأخلاقيات الحربية التي

لقنها الأمير لجنوده، ساعيا من وراء ذلك على ترسيخ وتفعيل الشعور الإنساني لديهم إلى حد المكافأة بالمال لمن يحافظ على الأسير.

ب- معاملاته مع الأسرى:

تذكر الكثير من المؤلفات الأجنبية عن معاملة الأمير للأسرى،وعن أخلاقياته القتالية وايمانه وشخصيته المتزنة، ولعل من أهم المواضيع التي ذكرها "محفوظ قداش" في مقال له باللغة الفرنسية،وهيعبارة عن وثائق بها شهادات من الأسرى الفرنسين، منها مثلا: شهادة الكابتن "موريزو"الذي تكلم عن حادث أسره فقال:" ....بعد ساعات فتحت عيني فوجدت نفسي في معسكر سيدي مبارك بن علال، ولم أكن أصدق ما حصل لي إذ كنت أحتفظ برتبي وأيضا بوسام الشرف ....وشعرت أنني في مأمن داخل الخيمة ..."[27].

كما يقول "هنري تشرشل" أيضا في كتابه: "....إن العناية الكريمة والعاطفة الرحيمة التي أبداها "عبد القادر" نحو الأسرى ليس لها مثال في تاريخ الحروب ،فكبار الضباط المسيحيين عليهم أن يجلسوا عند قدميه ،وأن يتمسحوا بها،لانحطاطهم في المعاملة....."[28]

فعبد القادر كان يعامل أسراه كضيوف لا كأسرى،كونه كان متشبعا بقوانين الشريعة الإسلامية السمحاء

ذا السلوك الحضاري الثقافي، والذي صاغه الإسلام في أعلى وأرقى درجاته الإنسانية، لا يفرق بين الناس إلا بتقواهم. وتمظهرت إنسانيته وسلوكياته الأخلاقية وفروسيته، عندما منع قطع الرأس والأذن والوحشية التي كانت تمارس في حق شعبه من طرف العدو الفرنسي.

قصة الأمير مع الأسرى لا تنته فقد أخذت منحى إنساني أوسع، فعندما طلب منه أسقف الجزائر "ديبوش""Dupuch"سنة 1841م، إطلاق سراح أحد الأسرى أجابه "الأمير عبد القادر" وهو في أوج القوة والسلطان:"...إسمح لي بأن

أقول لك: أنه بحكم كونه خادما لله وصديقا للرجال الذين هم أيضا إخوتك، إنه كان عليك أن تطلب مني إطلاق سراح ليس واحدا فقط، ولكن كل المسيحيين الذين وقعوا في الأسر منذ استئناف الحرب....".[29]

بالرغم من شراسة الحرب وعدوانيتها وقسوتها فهي لم تفقد من عزيمة "الأمير عبد القادر" عن رفع شعار الإنسانية إلى أعلى مقام، ومواقفه الشهيرة لمعاملته الراقية للأسرى هي التي زادت من قيمته التاريخية، فتشبعه بقيم الحضارة الإسلامية منذ صغره بكل معاني الرقي إذ كان يطبق قوانين كما عاشها الرسول عليه السلام[30]،واهتم بغذاء جنده كما كان يعمل داوود عليه السلام، كلها قيم إسلامية اقتدى بها الأمير وطبقها في حياته، وحتى النساء الأسيرات كان يكنّ لهنّ احتراما شديدا، لأن في نظره أن إقحام المرأة في الحرب يعد في حد ذاته مصدر قلق دائم له[31]، غير أن زوجته وأمه كانتا تعتنيان بالأسيرات، فأمه كانت خيمتها قريبة من خيمهن المحروسة من طرف الزنجيات، وكانت كلّ صباح تهديهن الزيت والزبدة واللحم، وكانت عنايتها بالمريضات شديدة، إذ تمنحهن القهوة والسكر والشاي وكل شيء ليخفف عنهن الألم[32]،أما عن زوجته فهي الأخرى كانت تسهر على أمنهن وتقدم لهن المأكل والمشرب والعلاج.

لقد كان الأمير في نظر الأسرى عدوا كريم الأخلاق، وكل من كان أسيرا عنده قد أثنى عليه[33]، فقد وصف أحد الأسرى معاملة الأمير لهم مبينا تواضعه معهم قائلا:"...عندما مررت بالسلطان فحياني بجلالٍ فريدٍ، وابتسامة مدهشة وأشار إليّ بيده بالجلوس ثم سألني رأيي في بناء التحصينات، فأجبته أنها تظهر لي جيدة...."[34].هذا يدل على حرية تنقل الأسرى في معسكر الأمير، فهم يتمتعون بحماية تامة.

إن مواقف الأمير كلها مواقف كريمة وشجاعة نادرة في تاريخ الحروب، هذا ما يؤكد حكمته ووزنه للأمور التي ورثها عن أبيه "محي الدين"، صحيح أن التنشئة والبيئة الأسرية لها تأثير كبير في نضوج عبقرية الأمير العسكرية والأدبية وخاصة الإنسانية، فقد أجمع المؤرخون من أجانب وأنصار على أن سلوكياته تتسم بالفروسية والإباء والإنسانية، بدليل أنه كان يتقيد بقوانين الحرب في الإسلام وبالشريعة التي فرضها الله عز وجل.

ج- الفتنة الطائفية في لبنان ودمشق 1860م ودوره في إخمادها:

كان "الأمير عبد القادر" في دمشق سيّدا عظيما، محترما من طرف الجميع، له كلمة نافذة وقول مسموع، وكان قصره قبلة لرجال الفضل والعلماء، ورجال الدين، ودعاة الصوفية، فأخذ في دراسته لآراء "محي الدين بن عربي" من كتبه[35]، وراح يلقنها لتلامذته، ويعلمهم مبادئ الشريعة الإسلامية، وتفاسير القرآن، وشرح النصوص الرئيسية لصحيح البخاري.

لقد أولى الأمير اهتمامه أثناء إقامته بدمشق في التدريس والبحث، غير أن الدسائس الأجنبية من فرنسية وروسية وانجليزية، كانت تلقي شباكها وما فيها من طعم مسموم بين مختلف الطوائف والمذاهب التي كانت تسكن سوريا ولبنان، ففيهم المسلم السني، والمسلم الشيعي، وفيهم الدرزي، وطوائف المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية، وما تبعها من مارونية.فالتنازع حول الدين أو المذهب قادها للنزاع حول مشاكل الحياة اليومية، والمصالح الاقتصادية، ونظرا لمصالح الدول الكبرى وأغراضهم، التي كانت تسعى لمحق الخلافة الإسلامية العثمانية، والقضاء عليها وتقسيم تركتها، والاستلاء على أسلابها، كلها أسباب زادت من نار الفتنة بين الطوائف في بلاد الشام، وقد بلغ ذلك الصراع الديني ذرواه، فحصلت بينهم حروب طاحنة راح ضحيتها العديد من القتلى والجرحى، وكان الأمير يراقب من قصره هذه الحوادث، وكان واهيا

للأسباب الخفية من وراء هذه الفتنة، فقد لاحظ مدى تأثير الانجليز على الطائفة الدرزية، ومدى تأثير الفرنسيين على الطائفة المارونية، وكل من الطرفين كان يسعى لتحقيق أطماعه، وأغراضه الاستعمارية بالتدخل العسكري ومن ثمة احتلال البلاد[36].

غير أنه سعى جاهدا للتوفيق بين الطوائف لمحو ما بينها من أحقاد دفينة ربما رجعت أصولها للحروب الصليبية، وما كان عليه إلا أن يحطم آمال المستعمرين، فقد فتح أبواب قصره الكبير المحروس من طرف الجزائريين، وساهم في إنقاذ المسيحيين وتكفل بحمايتهم، وبهذا أطفأ نار الفتنة وخيب ظن الانجليز والفرنسيين الذين حاولوا احتلال بلاد الشام، وتقسيم تركة الرجل المريض بحجة الدفاع عن الرعايا الأوروبيين والأقليات بالمنطقة، وبهذا أنقض الأمير المسيحيين والدولة العثمانية معا.

بلغ عدد القتلى من المسيحيين حوالي 20,000 كما دمرت أكثر من 380 قرية مسيحية و560 كنيسة، وبالمثل تكبد الدروز والمسلمون خسائر فادحة كذلك، ربما يعود الفضل للأمير في حماية أهل الذمة حسبما تقتضيه الشريعة الإسلامية،بفتحه إقامته وإقامات أتباعه لاستقبال النصارى المهددين في حياتهم، ويعود الفضل إليه أيضا في إنقاذ خمس عشرة الاف فرد منهم[37].وأثناء ذلك تصدى للفتنة والتي كانت نكبة حقيقية طالت بلاد الشام، بسبب الحرب بين الدروز والموارنة لولا تدخله وايقافه نار الفتنة[38].

من هنا يمكننا القول أن إنسانية "عبد القادر" لم تعم بمنفعتها الوطن فحسب، بل على العالم رغم تباعد الأديان والمسافات، هي شهادات تعددت جهاتها والتي تقر بعبقرية هذا الرجل وإنسانيته السمحاء، فهو رجل عصره وبطل من أبطال تاريخ هذه الأمة المكينة، جامع بين السيف والقلم ليؤسس دولة جزائرية حديثة. وكان لموقف الأمير الإسلامي الإنساني في هذه الفتنة،

صدى في الأوساط العالمية. فأتته رسائل شكر مصحوبة بالأوسمة وشارات الفخر والتقدير من جميع ملوك ورؤساء الدول العالمية. ونوهت به كبريات الصحف العالمية وأشادت بخصاله الكريمة ومواقفه الإنسانية [39].

الخاتمة:

إن الذي يبحث عن نبوغ الأمير، ومقدرته الحربية والسياسية والإنسانية يبقى مندهشا،نظرا لما وصل إليهمن مكانة خلال مراحل طويلة من الكفاح، والذي وضعته في قمة البطولة والمجد، وإذا بحثنا عن مصدر عبقريته،فنجدها في أمرين إثنين: إحداهما فطري طبيعي،كونه من عائلة شريفة عظيمة الشأن كريمة المنشأ. والآخر وضعي مكتسب كونه قاد حروبا طاحنة، ومعارك عنيفة طيلة سبعة عشر سنة ضد دولة عظمى وجيش منظم.

إن جوانب النبوغ والبداهة والحنكة في شخص الأمير لا تخطيها جملة من القيم الإنسانية والتي أشرنا إلى معظمها، فخصاله الحميدة وأخلاقه الرفيعة وحكمته ودهاؤه،وغيرها من جوانب العظمة تحتاج إلى أقلام مؤرخين أكفاء من أجل أن يخطوا أقلامهم، ولإزاحة غطاء التغافل عن ذكر واقع حياة رمز اجتمعت عنده ملامح النبوغ والفطنة والاكتمال، لدرجة وصفه بالرجل الظاهرة، كونه كان وطنيا جزائريا يعشق شعبه، كونه لعب دورا بارزا في قيام الأمة، وكونه كان إنسانا يمثل تماما روح الجزائر.

الهوامش:

1. **أبو محمد عبد القادر بن أحمد، المعروف بابن خدة وهي مرضعته، تبحر في العلوم كالنحو والتوحيد والحساب والفرائض والفقه، أخذ العلم عن شيوخ أجلاء منهم محمد بن يوسف السنوسي[832-895هـ/ 1428-1490م] المشهور، صاحب "الصغرى والكبرى" في التوحيد، المدفون بتلمسان وفيها أخذ عنه،**

وأقام في قسنطينة، وصار شيخ العلماء فيها، وكانت تآليفه المتداولة في تلك الجهات لاسيما حاشيته في التوحيد. ينظر: - فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، صص100،101. [في تهميش الكتاب]

2- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، ج2، الإسكندرية، 1903، صص297-307.

3- الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849، تح: محمد الصغير بناني وأخرون، شركة دار الأمة، ط7، 2010، ص46.

4- الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري [1807-1883]، شرح وتقديم، العربي دحو، ط3، منشورات تالة، الجزائر،2007، ص45.

5- مصطفى بن المختار الغريسي: هو جد الأمير عبد القادر، أخذ القادرية عن الشيخ عبد القادر المشرفي حين زار بغداد، في طريق الحج، تبرع بماله الخاص لتوسيع ضريح عبد القادر الجيلاني، فأصبح يعرف بزيادة الشيخ مصطفى المغربي عند عودته من الحج، أسس زاوية بوادي الحمام [1206هـ/1791م]، فوظف في زاويته أجل العلماء أمثال شيخه عبد القادر المشرفي، توفي سنة [1212هـ/1798م] عند عودته من حجته الرابعة ببرقة، ودفن بعين غزالة قرب درنة. ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1996، ج2، صص244،245.

6- السيدة الزهراء: من عائلة أولاد سيدي عمر بن دوحة سبق لها الزواج قبل الشيخ محي الدين، حيث أنجبت ولدا ومات، وأنجبت من محي الدين عبد القادر وخديجة، ينظر:

- Adrien,Delpech; Histoire de lhajd Abdelkader, passons cousin Hassen ben AliTaleb, traduction partielle, in : revue africaine, T20/1876,p419.

- Paul Azane ; Les débuts d'Abdelkader, in: bulletin de la société de géographie d'Oran, T XII, 1921,p198.

7- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر ، ط2، مصدر سابق، ص932.

- أحمد كمال الجزائري، المفاخر في معارف الأمير الجزائري والسادة الأولياء الأكابر، راجعه وقدم له فضيلة الامام محمد زكي إبراهيم، ط1، مطبعة العمرانية الأوفست، الجيزة، 1997، ص19.

- بينما نجد اختلافا في مولد الأمير عبد القادر عن بعض المؤلفات.

8- الأمير عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص50.

9- قرية على بعد 28 كم من مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير عبد القادر، اختطها جده مصطفى بن المختار سنة 1206هـ/ وعرفت أنذاك إشعاعا دينيا وثقافيا معتبرا بفضل زاويتها القادرية الشهيرة [زاوية القيطنة]، وقد هدمها بيجو في سبتمبر1841م، وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة بوحنيفية ولاية معسكر ينظر: - الأمير عبد القادر الجزائري، نفسه، ص48.

10- وادي الحمام: وهو المعروف بحمام بوحنيفية يبعد عن مدينة معسكر بحوالي 30 كم، ينظر: - نفس المصدرالسابق، ص48.

11- يعتبر غريس من بين أهم وأوسع السهول الزراعية الخصبة في الجزائر وشمال افريقيا، وتقع شمال جبال سعيدة وجنوب مدينة معسكر، وترتفع 500 متر سطح البحر، وسهل غريس من سهول الوطن الراشدي، سمي كذلك لأنه كان مغروسا بأنواع الأشجار ذوات الثمار، وسكانه هم بنو زروال، وبنو توجين، ومغراوة والوطن الراشدي عاصمتهم معسكر، غرب الجزائر، يحده شرقا جبل المناور، وغربا جبل كرطوس، وجنوبا جبل البنيان، وشمالا جبل القلعة. ينظر:

- أحمد توفيق المدني، جغرافيا القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، ساندیكا دينسيانيف، الجزائر، 1948، ص25.

- أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، 2007، ص44.

-الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص26.

12- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص61.

-ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص155.

- دينيزين، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر وتق، أبو العيد زوزو، دار هومة، الدزائر، 2003، ص20.

- عادل النويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة النويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1980، ص103.

13- شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص61.

14- عبد الحميد حاجيات، الأمير عبد القادر وانتاجه الأدبي، في مجلة التاريخ، عددها الخاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير عبد القادر، ص8.

15- عبد الحميد شعابنة، الأمير عبد القادر المجاهد المثقف والسياسي الفارس، مجلة أول نوفمبر، عدد165، 2001، ص27.

16- زيدان جرجي، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص199.

17- الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر، مصدر سابق، صص 52،53.

18- رابح تركي، من أعلام الجهاد الإسلامي في الجزائر، الأمير عبد القادر وأثر البيئة والتربية التي نشأ فيها في تكوين شخصيته، مجلة الثقافة، العدد88، السنة 15. جويلية. أوت1985، ص118.

19- شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص61.

20- Christian, p, L'Afriquefrançaise l'empire de Maroc et les déserts de Sahara, paris, 1846, p390.

20- بديعة الحسني الجزائري، ناصر الدين الأمير عبد القادر الجزائري بن محي الدين، سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر، ط2، دار السلام، دمشق، 1992، ص120.

21- نفسه، ص120.

22- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر(1808-1847)، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، ص84.

23- قدور بن رويلة، وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويليه ديوان العسكر المحمدي المليانى، تحيق، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص43.

24- شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص211.

25- عبد القادر دحدوح، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية(1836-1842)، دراسة تحليلية وصفية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم الأثار، جامعة الجزائر، 2002، ص33.

26- ملاح أحمد، الأمير عبد القادر بين الإنسانية والروحانية، مجلة الكلمة، عدد 66-67، سنة 2010، ص104.

27- الأميرة بديعة الحسني، الأمير عبد القادر حقائق ووثائق بين الحقيقة والتعريف، دار المعرفة، الجزائر، 2008، صص55،56.

28- شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص61.

29- نفسه، صص101،102.

30- عزوزي علي، الأمير عبد القادر والأسرى، الملتقى الدولي حول الأمير عبد القادر والقيم الإنسانية، عدد خاص، دار الأمة، 2001، ص192.

31- شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص203.

32- نفسه، ص204.

33- صالح فركوس، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي، المقاومة المسلحة (1830-1962)، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2012، ص28.

34- شارل هنري تشرشل، مصدر سابق، ص138.

35- لقد كان أبلغ ما شغل الأمير في المهجر اي خلال اقامته في دمشق هو تحقيقه للكتب العلمية و الأدبية، ففي سنة 1871م أرسل نسخة من "الفتوحات المكية" مع عالمين جليلين الى قونية (مدينة وسط تركية الآسيوية)، لمقابلتها و تصحيحها طبقا للنسخة الأصلية الموجودة بخط "ابن عربي"، مؤلفها، و بعد تصحيحها بكل اتقان قرأها على بعض الخاصة من العلماء في منزله. -

للمزيد من التفاصيل ينظر::

-الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مصدر سابق، ص311

36- سهيل الخالدي، الاشعاع المغربي في المشرق،دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام،ط1،شركة دار الامة ، الجزائر،1997، ص 85.

37- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص71.

-صام منور، الأمير عبد القادر وأحداث الستين 1860 من خلال الوثائق الفرنسية، رسالة دكتوراه دولة، وهران، 1971، ص233.

38- أحمد توفيق المدني، الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث سوريا المحزنة والدولة العثمانية،1860-1983، عدد خاص، الجزائر، 1983، صص7،8.

39- محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر، ص120.

-فؤاد صالح السيد، مرجع سابق، ص72.